Afro-Asian Journal of Scientific Research (AAJSR)
المجلة الأفروآسيوية للبحث العلمي (AAJSR)
E-ISSN: 2959-6505
Volume 1, Issue 4, October-December 2023, Page No: 317-330
Website: https://www.aajsr.com
SJIFactor 2023: 3.908 معامل التأثير العربي (AIF) 2023: 0.51 ISI 2023: 0.337

المناسبات بين الآيات في سورة الرعد عند ابن كمال باشا

باسم بن حمدان الجديع *
قسم القرآن وعلومه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة القصيم، القصيم، المملكة العربية السعودية

The connection between verses In Surah AL-Ra'ad according to Ibn Kamal Pasha Applied Theory Study

Basim Hamdan Algoda *
Department of the Qur'an and its Sciences, College of Sharia and Islamic Studies, Qassim University, Qassim, Kingdom of Saudi Arabia

*Corresponding author abohamdan2019@gmail.com *المؤلف المراسل
تاريخ النشر: 2023-12-24 تاريخ القبول: 2023-12-08 تاريخ الاستلام: 2023-10-18

الملخص

قام هذه البحث بالكشف عن تعريف المناسبات، وبيان المناسبات في سورة الرعد عند ابن كمال باشا في تفسيره، ثم قارنت بين المناسبات التي ذكرها مع عدد من المفسرين المهتمين بهذا العلم كالرازي والبيضاوي وغيرهم، ثم ذكرت النتيجة من المقارنة بين كلامهم. وقد توصلت هذه الدراسة إلى نتائج من أبرزها: أن علم المناسبات علم يعين على فهم الآيات وتدبرها، وإزالة كثير من الإشكالات في فهم الآية، ومدى اهتمام ابن كمال بهذا العلم الشريف.

الكلمات المفتاحية: المناسبات، سورة الرعد، ابن كمال باشا، المفسرين المهتمين، فهم الآيات.

Abstract

This research revealed the definition of occasions and explained the occasions in Surat Al-Ra'd according to Ibn Kamal in his interpretation, then compared the occasions he mentioned with several commentators interested in this science, such as Al-Razi, Al-Baydawi, and others, and then mentioned the result from the comparison between their words.

This study reached results, the most prominent of which are: that the science of occasions is a science that helps in understanding and contemplating verses, removing many of the problems in understanding the verse, and the extent to which Ibn Kamal completed this honourable science.

Keywords: Occasions; Surat Al-Ra'd; Ibn Kamal; commentators interested; understanding the verse,

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن أشرف العلوم العلم بكتاب الله دراسة وتدبراً وفهماً، قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ 29﴾ [ص:29] وهذا القرآن لا تنقضي عجائبه وأسراره، وقد بذل علماء الإسلام على مر العصور جهدهم في تلمس أسرار هذا الكتاب العظيم، وبيان ما يحويه من هدايات ودلالات، ومما اهتم به المفسرون؛ العناية بالمناسبات بين السور والآيات، وهذا جانب من جوانب هذا الكتاب المعجز وترابط آياته وسوره.

وممن اعتنى بهذا العلم شمس الدّين أحمد بن سليمان الحنفي، الشهير بابن كمال باشا (ت 940هـ)، الذي قيل فيه:" كان في العلم جبلاً راسخاً وطوداً شامخاً وكان من مفردات الدنيا ومنبعاً للمعارف العليا"[1]، فقد ألف كثيراً من المؤلفات في علوم شتى، ومن مؤلفاته: تفسير للقرآن الكريم، وقد وافته المنية قبل إكماله حيث وصل إلى سورة الصافات، وهو من آخر مؤلفاته، وقد اعتنى فيه بذكر المناسبات، وقد أفردت سورة الرعد باستخراج مناسبات الآيات فيها ودراستها وبالله التوفيق.

المطلب الأول: التعريف بعلم المناسبات.

- **المناسبات في اللغة:**

جمع مناسبة، وهي مصدر من الفعل ناسَب يناسِب مناسبة، ومادتها نَسَبَ، والنون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء، ومنه النسب لاتصاله وللاتصال به، والنسيب: الطريق المستقيم، لاتصال بعضه ببعض [2].

ومن معاني نَسَبَ: الاشتراك في القرابة، يقال: فلان نسيب فلان أي قريبه[3].

والنِسْبة: إيقاع التعلق بين الشيئين[4].

ومن معانيها أيضاً المشاكلة، يقال ليس بينهما مناسبة أي: مشاكلة[5].

ومن معانيها أيضاً المماثلة، فتستعمل النسبة في مقدارين متجانسين بعض التجانس يختص كل واحد منهما بالآخر[6].

ويقال بين الشيئين مناسبة وتناسب ومشاركة، ولا نسبة بينهما، وبينهما نسبة قريبة[7].

ومما سبق يتبين أن مادة نسب تعني المقاربة والمشاكلة والاتصال والمماثلة، وكلها معان تدل على وجود علاقة وتشابه بين شيئين أو أكثر لها وجه ترابط فيما بينها.

([1]) الشقائق النعمانية (227).
([2]) ينظر: مقاييس اللغة، مادة (نسب).(5/ 423).
([3]) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (422/2) لسان العرب، مادة نسب (756/1) المعجم الوسيط (916/2).
([4]) التعريفات (241).
([5]) ينظر: لسان العرب، مادة نسب (756/1) القاموس المحيط (176) مختار الصحاح (688).
([6]) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (422/2).
([7]) ينظر: أساس البلاغة (2/ 265) تاج العروس (4/ 265).

- **اصطلاحاً:**

تعددت تعاريف المناسبة وتنوعت، وهي في مـجملها تتضمن المعاني اللغوية التي دل عليها أصل الكلمة، ومن التعاريف ما نقله الزركشي[8] عن ابن العربي[9] قوله: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني"[10].

وعرفها البقاعي[11] بقوله:" علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه وهو سر البلاغة؛ لأدائه إلى تـحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال"[12].

وعرفها العز بن عبدالسلام [13] بقوله:" المناسبة علم حسن ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر"[14].

وعرفها الزركشي بقوله: "المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول"[15].

والتعاريف متقاربة؛ ويـمكن القول بأن تعريف المناسبة بأنها: علم يبحث في بيان أسرار ترتيب آيات القرآن وسوره، ووجه الترابط بينها.

سورة الرعد

(1) الآية: ﴿ الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ1﴾[الرعد:1].

- **المناسبة ونوعها:**

قال ابن كمال في مناسبة الجملة القرآنية لما قبلها:" ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾ والمراد به السورة؛ أي: تلك الآيات العظام آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها.

﴿ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ ﴾ أي: هو الحق لا مزيد عليه، لا هذه السورة وحدها، وهو إجمال بعد التفصيل لهذا الغرض، كذلك لـمّا أثبت لهـذه السورة خصوصاً الكمال، استدرك بأن كل المنزل كذلك، لا يختص به سورةٌ دون أخرى للدلالة المذكورة "[16].

- **دراسة المناسبة، وأقوال المفسرين فيها:**

ابتدأت سورة الرعد بالإشارة إلى هذا الكتاب العظيم، فهذه الآيات الكريمة إنما هي وحي من الله أنزله على نبيه لـهداية البشرية، والإشارة إلى هذه الآيات بهذه السورة بأنها عظيمة وكاملة في الإعجاز،

([8]) هو مـحمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، بدر الدين الشافعي، ولد سنة745ه، مفسر أصولي له مؤلفات منها: البرهان في علوم القرآن، والبحر في الأصول، توفي سنة 794ه.ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة (3/ 167) الدرر الكامنة (5/ 133) طبقات المفسرين للداوودي (162/2).

([9]) هو مـحمد بن عبد الله بن مـحمد، الإمام أبو بكر بن العربي المعافري الأندلسي الحافظ أحد، ولد في شعبان سنة 468ه، له مؤلفات منها: أحكام القرآن، وشرح الموطأ وغير ذلك، توفي سنة 543ه. ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي (159/37)، وطبقات المفسرين للسيوطي (105).

([10]) البرهان في علوم القرآن (1/ 37).

([11]) هو برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، الشافعي المحدث المفسر العلامة المؤرخ، ولد سنة ٨٠٩هـ، له مؤلفات عدة، منها: نظم الدرر في تناسب الآي والسور، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، توفي في دمشق سنة ٨٨٥هـ. ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٥١٠/٩)، البدر الطالع (19/1).

([12]) نظم الدرر (6/1).

([13]) هو أبو مـحمد عبد العزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم الشافعي، الإمام العلامة شيخ الإسلام وسلطان العلماء، ولد سنة 578ه، له مؤلفات منها: القواعد الكبرى والصغرى، والكلام على شرح أسماء الله الحسنى، توفي سنة 660ه.ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي (159/37)، طبقات الشافية الكبرى (209/8).

([14]) البرهان في علوم القرآن (1/ 37).

([15]) المرجع السابق (35/1).

([16]) تفسير ابن كمال (361/5).

لا يعني تفردها بذلك؛ فكل القرآن بهذه المنزلة العالية، فناسب الإشارة بذلك فقال: ﴿ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ ﴾ فكما أثبت لهذه السورة بالخصوص الكمال والعظمة، ناسب أن يستدرك بأن جميع القرآن على هذه المرتبة السامقة الكريمة، فلا تختص هذه السورة بخصائص عن غيرها، وقد تفرد ابن كمال بهذا المعنى.

- **النتيجة:**

تبين من كلام ابن كمال أن مناسبة قوله: ﴿ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ ﴾ أن الله -جل وعلا- لما أشار بعظمة هذه الآيات في أول هذه السورة الكريمة؛ ناسب أن يبين أن جميع القرآن بـهذه المنزلة من العظمة و البلاغة، وهذا من عظمة هذا القرآن وإعجازه، فجميع آياته بلغت منزلة عالية بجزالة الألفاظ وحسن المعاني.

(2) الآية: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ 2﴾[الرعد:3].

- **المناسبة ونوعها:**

قال ابن كمال في مناسبة الآية لما قبلها:" ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢﴾[الرعد:2] لـمّا قرر الدلائل السماوية أردفها بتقرير الدلائل الأرضية فقال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ 3﴾ "[17].

- **دراسة المناسبة، وأقوال المفسرين فيها:**

افتتح الله -جل وعلا- سورة الرعد ببيان آيات قدرته وعجائب صنعه، فقد رفع هذه السماوات العظيمة بغير عمد، وذلل الشمس والقمر لطاعته ولمصالح هذا الكون فهما يسيران كما شاء الله لهما، لا يخرجان عن أمره.

ولـمّا قرر الله عظمته بذكر دلائل قدرته في السماء؛ ناسب أن يردفها بتقرير عظمته وملكوته بدلائل الأرض فقال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ فقد بسط الله الأرض وأودع فيها ما يـحتاجه خلقه ويستعينون به على عيشهم، وأودع في هذه الأرض من عظيم صنعه ما يبهر العقول، ويدل على وجود إله عظيم يستحق العبادة وحده، وقد وافق ابن كمال على هذا المعنى الرازي وأبو حيان والبقاعي[18]، وذكره بعده أبو السعود والألوسي[19].

وأشار ابن عاشور لما سبق وجعلها من باب التضاد، فلما ذكر الله ما في السماوات من بديع صنعه، ذكر ضدها وهو ما في الأرض من ملكه وخلقه[20].

- **النتيجة:**

تبين مـما سبق كلام المفسرين أن مناسبة قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ ﴾ أن الله -جل وعلا- لما ذكر دلائل قدرته وعظمته في العالم العلوي السماوي، ناسب أن يذكر معالم ما قدرته في العالم السفلي الأرضي، وجميع ما ذكر الله -جل وعلا- دليل واضح على استحقاقه للعبادة دون سواه.

([17]) تفسير ابن كمال (366/5).
([18]) مفاتيح الغيب (5/19) البحر المحيط في التفسير (346/6) نظم الدرر (274/10).
([19]) إرشاد العقل السليم (3/5) روح المعاني (7/ 87).
([20]) التحرير والتنوير (82/13).

(3) الآية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ 3﴾ [الرعد:3].

- **المناسبة ونوعها:**

قال ابن كمال في مناسبة الآية لما قبلها:" ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ﴾؛ أي: بسطها طولاً وعرضاً ليُثبّت فيها الأقدام، ويتقلّب عليها الحيوان، ولـمّا كان مَظنَّةَ أن يقال: لولا ما فيها من الجبال لكان الثبات فيها أيسر، ومواضع التقلب فيها أكثر، دفعه ببيان الفائدة في خَلْقها بقوله:

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ من الرُّسُو، وهو ثبات الجسم الثقيل وقراره، ومنه: أرسى السفينة، والمرسى.

كانت الأرض مضطربةً فثقلها الله تعالى بالجبال في أحيازها فزال اضطرابها."[21].

- **دراسة المناسبة، وأقوال المفسرين فيها:**

سياق الآيات في تعداد عظيم قدرة الله وبديع صنعه، فقد خلق الله هذه الأرض ووسعها على عباده ومهدها وذللها لهم؛ ليتمكنوا من السير فيها وطلب الرزق، ومن مخلوقات الله في هذه الأرض وجود الجبال العالية العظيمة التي شكّلت جزءً كبيراً من هذه الأرض، ولما كان مظنة القول أنه لولا وجود هذه الجبال لكان السير فيها أسهل، ومواضع البقاء فيها أكثر، ناسب أن يعقب بعد ذلك بما يدفع فيه هذا الوهم، ويبين فائدة الجبال وما لها من المنفعة العظيمة فقال: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ ﴾ فهذه الجبال ثبات للأرض ورساوة لها، فهي كالأوتاد للأرض، وقد تفرد ابن كمال بهذا المعنى.

- **النتيجة:**

تبين من كلام ابن كمال أن مناسبة قوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ أن الله -جل وعلا- لما ذكر أنه مدة الأرض وبسطها ووسعها لخلقه ليسيروا فيها ويتفكروا في بديع صنع الله؛ ناسب أن يدفع

ما قد يتوهم من أن الجبال تعيق هذه السعة وتضيق على الناس في السير فيها، فذكر فائدة خلقه لها فقال: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾.

(4) الآية: ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ 8﴾ [الرعد:8].

- **المناسبة ونوعها:**

قال ابن كمال في مناسبة الآية لما قبلها:" ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:7]. ثم عقبه بما دل على كمال علمه وتقديره للأشياء على مقتضى حكمته؛ تنبيهاً على أنه عالم بأحوال الأنبياء عليهم السلام والأمم، قادر على إنزال مقترحاتهم، ولكنَّ الأمر مقدَّر عنده على ما يجب أن يكون عليه من حكمته من تخصيص كل نبي بما خُص به من الآيات، فقال: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ 8﴾"[22].

- **دراسة المناسبة، وأقوال المفسرين فيها:**

سياق الآيات في التعجب من أمر الكفار وعنادهم وإصرارهم على الكفر مع ظهور الأدلة الكونية الواضحة على استحقاق العبادة لله وحده دون سواه، ثم ذكر الله -جل وعلا- طلباً للكفار واضح الدلالة على تعنتهم فقال: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ فطلبوا آية معينة يحددونها ويختارونها وعندهم من الآيات ما يدل على صدق محمد ﷺ؛ فناسب أن يعقب على طلبهم المتعنت بما يدل على كمال علمه وقدرته وحكمته في تقديره للأمور، وإنزاله للآيات على الأقوام بما يناسبهم فقال: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ

([21]) تفسير ابن كمال (366/5).
([22]) تفسير ابن كمال (374/5).

كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ 8﴾ وقد وافق ابن كمال على هذا المعنى الرازي والبيضاوي وأبو حيان والبقاعي[23]، وذكره بعده أبو السعود[24].

وذكر الرازي مناسبة أخرى وربطها بآية أخرى وهي قوله: ﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ 5﴾[الرعد:5] فلما ذكر الله زعم الكفار بإنكارهم للبعث، وأنهم إذا صاروا تراباً فتستحيل إعادتهم بعد تفتت عظامهم واختلاطها، فناسب أن يذكر كمال علمه بدقائق الأمور وإحاطته بها وقدرته على بعثهم فقال: ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴾[25]

وذكر الرازي أيضاً مناسبة أخرى وربطها بآية أخرى وهي أن الله -جل وعلا- لما ذكر استعجالهم بالعذاب وطلبهم له بقولهم: ﴿ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ 6﴾[الرعد:6] ناسب أن يذكر بعد ذلك كمال علمه بجميع المعلومات فلا يُنزلُ العذاب مالم يعلم المصلحة والحكمة فيه[26].

وذكر ابن عاشور أن مناسبة الآية أن الله -جل وعلا- لما أقام البراهين الكثيرة على وحدانيته بالخلق والتدبير، ناسب أن ينتقل بعد ذلك إلى إثبات العلم له بدقائق الأمور وعظائمها، ولهذا افتتح الآية باسم الجلالة تفخيماً لهذا المعنى العظيم[27].

- **النتيجة:**

تبين مما سبق من كلام ابن كمال أن مناسبة قوله: ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ ﴾ أن الكفار لما طابوا امن النبي ﷺ آية على صدق ما جاء به وعندهم من الآيات والبراهين ما يدل على صدقه فناسب أن يعقب بكمال علمه وإحاطته بجميع ما يكون في هذا الكون.

وكذلك ما ذكره الرازي من أن الآية رد على الكفار بتعجبهم من إعادتهم بعد موتهم وبعثهم بعد أن كانوا تراباً وعظاماً، فأثبت الله له العلم التام والقدرة الكاملة.

وكذلك ما ذكره من أن الآية رد على المكذبين الذين استعجلوا بطلب نزول العذاب عليهم، مبالغة منهم في التكذيب؛ فجاءت الآية للرد عليهم وبيان علم الله التام بإنزال العذاب متى شاء.

وكذلك ما ذكره ابن عاشور أن الآية جاءت بعد إقامة البراهين والدلائل على قدرة الله؛ فناسب أن ينتقل إلى إثبات علم الله الكامل بكل شيء، وجميع ما ذكر لا يتعارض بكونه مناسبةً للآية، إلا أن ما ذكره ابن كمال ومن معه أقرب لمعنى الآية وسياقها.

(5) الآية: ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤ ﴾[الرعد:14].

- **المناسبة ونوعها:**

قال ابن كمال في مناسبة الآية لما قبلها:" ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ﴾: الدعاء الحق؛ فإنه الذي يَحقُ أن يُعبد ويُدعى إلى عبادته دون غيره أو: له الدعوة المجابة فإن مَن دعاه أجاب، ويؤيده ما بعده. والحق على الوجهين ما يقابل الباطل، وإضافة الدعوة إليه للملابسة بينهما، أو على تأويل:

دعوة المدعو الحق.

([23]) مفاتيح الغيب (19/ 14) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (3/ 182) البحر المحيط في التفسير (6/ 356) نظم الدرر (287/10).
([24]) إرشاد العقل السليم (5/ 7).
([25]) مفاتيح الغيب (14/19).
([26]) المرجع السابق (14/19).
([27]) التحرير والتنوير (96/13).

وقيل: الحق هو الله تعالى، وكلُّ دعاء إليه دعوة الحق.

والجملتان على الوجه الأول وعيد للكفرة على مجادلتهم الرسول ﷺ بحلول بهم، وتهديد لهم بإجابة دعوته عليه السلام، أو ببيان أن دعوته عليه السلام محاله إلى التوحيد حق."[28].

- **دراسة المناسبة، وأقوال المفسرين فيها:**

ذكر الله -جل وعلا- في هذه السورة من مظاهر قدرته وعلمه ما يدل على استحقاقه للعبادة وحده دون سواه، ومن مظاهر القدرة الظاهرة رؤية البرق والرعد وما يحدث منهما من الخير أو العذاب بقدرة الله -جل وعلا- من إرسال الصواعق فتصيب من شاء من عباده أن تصيبه، ويصرفها عن من يشاء، وكل ذلك بعلمه وحكمته.

ولما ذكر الله -جل وعلا- شيئاً من مظاهر قدرته، ذكر أنه المستحق أن يعبد ويدعى؛ فهو مجيب من دعاه، والذين يدعون غيره ليس لهم إلا الحسرة وهو الخسران، ومناسبة هذه الآية لما قبلها؛ أن فيها وعيداً للكفار على جدالهم الرسول ﷺ وتهديداً لهم بإجابة ما يدعو عليهم الرسول ﷺ من نزول العذاب وحلول العقاب، فبعد ذكر قدرة الله وقوته؛ ناسب ذكر منزلة رسوله والوعيد على من خالف أمره، وقد وافق ابن كمال على هذا المعنى أبوحيان[29].

وذكر أبو حيان أن مناسبة الآية أن الله -جل وعلا- لـمّا ذكر مجادلة الكفار في الله، وكان جدالهم لإثبات آلهة معه ناسب أن يذكره أن الله -جل وعلا- له الدعوة الحق؛ فمن يدعو له فدعوته هي الحق، بخلاف الأصنام التي يدعونها من دون الله.

- **النتيجة:**

تبين من كلام ابن كمال أن مناسبة قوله: ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ﴾: أن الله -جل وعلا- لما ذكر شيئاً من براهين قدرته وعظمته التي جعلها في مخلوقاته العظيمة، ناسب أن يذكر ما يستحقه المعاندون لهذه الآيات من الوعيد والتهديد الشديد لهم بعدم إجابتهم لما دعاهم إليه الرسل، وبهذا تبين أن النظر إلى هذه الدلائل العظيمة من أعظم أسباب الهداية والتوفيق إلى دين الإسلام.

وكذلك ما ذكره أبو حيان أن مناسبة الآية أن الله -جل وعلا- لما ذكر مجادلة الكفار في الله واستحقاقه للألوهية؛ ناسب أن يذكر أن له الدعوة الحق، وأنه المستحق للعبادة دون ما يعبد سواه، وما ذكر مناسب للآية.

(6) الآية: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ 17﴾[الرعد:17].

- **المناسبة ونوعها:**

قال ابن كمال في مناسبة الجملة القرآنية لما قبلها:" ﴿ كَذَٰلِكَ﴾ مثلَ ذلك الضرب ﴿ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ﴾ فذلكةٌ وتبيينٌ، و﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ تأكيدٌ له وتعميم"[30].

- **دراسة المناسبة، وأقوال المفسرين فيها:**

ضرب الله –جل وعلا- مثلاً في سورة الرعد على الهدى الذي أنزله على رسوله لهداية الخلق؛ بالماء الذي أنزله من السماء، فجرت به الأودية كل وادي بحسب حجمه ومقداره؛ فهذا مثل القلوب، كل

([28]) تفسير ابن كمال (374/5).
([29]) البحر المحيط في التفسير (6/ 367)
([30]) تفسير ابن كمال (390/5).

قلب يسع من الخير مقدار ما يقبله قلبه، وأما أصحاب الضلالة والزيغ فقلوبهم عند نزول الهدى والحق كمثل الزبد الذي يعلو ماء السيل الجاري، فيتجه بحسب الريح بلا فائدة ترجى منه، ثم قال الله تعالى بعد هذا المثل: ﴿ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ﴾ فمناسبة هذه الجملة لما سبق أنها كالفذلكة لهذا المثل، فخلاصة هذا المثل ومجمله لبيان الحق والباطل، فدلت هذه الجملة على مجمل المثل لتفهم العقول والقلوب المراد من هذا المثل، ثم ختم الله الآية بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ للتأكيد على هذا المثل؛ لما فيه من بيان الحق والباطل، وقد تفرد ابن كمال بهذا المعنى، وذكره بعده ابن عاشور[31].

وذكر البقاعي مناسبة أخرى لهذه الجملة، وهي أن المثل لما كان في غاية الحسن والانطباق على ما سيق له، فكأن سامعه يقول: أن هذا مما لا يقدر عليه إلا الله وذلك قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ﴾[32].

- **النتيجة:**

تبين من كلام ابن كمال أن مناسبة قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ ﴾ أن الله –جل وعلا- لما ضرب مثلاً للحق والباطل، ناسب أن يبين مجمل المثل وثمرته فقال: ﴿ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ ﴾.

وكذلك ما ذكر البقاعي أن مناسبة الجملة القرآنية لما قبلها أن الله –جل وعلا- لما ذكر هذا المثل البديع، ناسب أن يبين أنه لا يقدر على مثل ذلك إلا هو فقال: ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ ﴾، وما ذكر مناسب للآية.

(7) الآية: ﴿۞أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ 19﴾ [الرعد:19]

- **المناسبة ونوعها:**

قال ابن كمال في مناسبة الآية لما قبلها: "﴿۞أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ ﴾ فيستجيب ﴿ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ﴾ عمى القلب لا يستبصر فيستجيب.

لما ذكر تعالى مثلَ المؤمن والكافر، وذكر ما للمؤمن والكافر من الثواب والعقاب، ذكر استبعاد من يجعلهما سواء، وأنكر ذلك متفرعاً على ما تقدم، فالفاء للعطف على وجه التفريع، وإنما قدمت همزة الاستفهام وهي مؤخّرة معنى لأن له صدر الكلام"[33].

- **دراسة المناسبة، وأقوال المفسرين فيها:**

لما ضرب الله تعالى مثلاً للمؤمن والكافر، وما أعده للمؤمن من الثواب الجزيل وما للكافر من العذاب الأليم؛ ناسب أن يذكر استبعاد من يجعلهما سواءً في العمل والمنزلة، وساق بعد ذلك صفات المؤمنين المتقين، ومن يقابلهم من المكذبين الضالين لبيان الفرق بين الفريقين ومنزلة كل منهما، ونفي المساواة بينهما، وقد وافق ابن كمال على هذا المعنى أبو حيان[34].

وذكر البقاعي مناسبة أخرى للآية وربطها بآيات سابقة فقال:" ولما افترق حال من أجاب ومن أعرض في الجزاء، وكان ما مضى مستوفياً طرق البيان بإيضاح الأمر بالجزيئات والأمثلة مع الترغيب والترهيب، فكان جديراً بترتيب الأثر عليه، تسبب عنه الإنكار على من سوى بين العالم العامل وغيره؛ التفاتاً إلى قوله: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ﴾ وسوى بين الحق والباطل التفاتاً إلى قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ

([31]) التحرير والتنوير (120/13).
([32]) نظم الدرر (317/10).
([33]) تفسير ابن كمال (392/5).
([34]) البحر المحيط في التفسير (378/6).

يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ ﴾ فحسن قوله: ﴿۞أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ 19﴾[35]".

- **النتيجة:**

تبين مما سبق أن مناسبة قوله: ﴿۞أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ ﴾ أن الله -جل وعلا- لما فرق بين المؤمن والكافر، وما لهما من الثواب والعقاب؛ ناسب أن يذكر استبعاد من يجعلهما سواء في المكانة والمنزلة يوم القيامة.

وكذلك ما ذكره البقاعي من ربط الآية بما سبقها، ونفي تسوية العالم بمن دونه، وتسوية الحق بالباطل، التفاتاً إلى قوله فقال: ﴿۞أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾.

(8) الآية: ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ 26﴾[الرعد:26].

- **المناسبة ونوعها:**

قال ابن كمال في مناسبة الآية لما قبلها:" ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾ لما كان كثير من الأشقياء فُتحت عليهم أبواب نِعم الدنيا ولذاتها، أخبر تعالى أنه هو الذي يوسع الرزق لمن يشاء ويضيقه، والكفر والإيمان لا تعلق لهما بالرزق، قد يَقْدِر على المؤمن ليَعْظُم أجره ويبسط للكافر إملاء لازدياد آثامه"[36].

- **دراسة المناسبة، وأقوال المفسرين فيها:**

لما ذكر الله -جل وعلا- في الآيات السابقة حال عباده المؤمنين وما لهم من الصفات الكريمة، وذكر المكذبين الضالين وما لهم من الصفات الذميمة؛ ناسب أن يذكر بعد ذلك أنه يبسط رزقه على من شاء من عباده، ويضيقه على من شاء، ولا تعلق للرزق بالإيمان أو الكفر، فهذه الدنيا دار ابتلاء واختبار، وقد وافق ابن كمال على هذا المعنى أبو حيان[37].

وذكر الرازي نحواً مما سبق وزاد أن الله -جل وعلا- لما حكم على من نقض عهد الله بأنهم ملعون في الدنيا ومعذبون في الآخرة فكأنه قيل: لو كانوا أعداءً لما فتح عليهم أبواب النعم والملذات، فناسب أن يذكر بأنه يبسط الرزق لمن شاء من خلقه، ولا تعلق له بالكفر والإيمان، وقد وافقه على هذا المعنى ابن عاشور[38].

وذكر البقاعي نحواً مما سبق وزاد بقوله:" ولما تقدم الحث العظيم على الإنفاق، وأشير إلى أنه من أوثق الأسباب في الوصلة لجميع أوامر الله، وختم بأن للكافر البعد والطرد عن كل خير، كان موضع أن يقول الكفار: ما لنا يوسع علينا مع بعدنا ويضيق على المؤمن مع وصله واتصاله، وما له لا يبسط له رزقه ليتمكن من إنفاذ ما أمر به إن كان ذلك حقاً؟ فقيل: ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ 26﴾[39].

([35]) نظم الدرر (326/10).
([36]) تفسير ابن كمال (397/5).
([37]) البحر المحيط في التفسير (6/ 383).
([38]) التحرير والتنوير (13/ 133).
([39]) نظم الدرر (333/10).

- **النتيجة:**

تبين مما سبق أن مناسبة قوله: ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ أن الله -جل وعلا- لما وسع على بعض خلقه من الأشقياء من لذائذ الدنيا ونعيمها؛ ناسب أن يذكر عباده بأنه يوسع الرزق لمن شاء ويضيقه على من شاء، ولا علاقة للإيمان والكفر بذلك.

وكذلك ما ذكره الرازي بأنه لما لُعن من نقض العهد والميثاق وهم أعداء الله، فقد يتبادر إلى الذهن أنهم لو كانوا أعداءً لضيق عليهم بالرزق فأجيب بقوله: ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾.

وقريباً مما ذكره الرازي أشار له البقاعي وربطها بما تقدم من الحث على الإنفاق والبذل في سبيل الله، وجميع ما ذكر يصلح مناسبة للآية إلا أن ما ذكره الرازي أوضح لمناسبة الآية.

(9) الآية: ﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ٣٢ ﴾[الرعد:32].

- **المناسبة ونوعها:**

قال ابن كمال في مناسبة الآية لما قبلها: "﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ ﴾ تسليةٌ لرسول الله ﷺ، ووعيد للمستهزئين والمقترحين عليه"[40].

- **دراسة المناسبة، وأقوال المفسرين فيها:**

لما طلب الكفار من النبي ﷺ إنزال الآيات على صدقه وصدق ما جاء به، وتعنتوا في السؤال وبالغوا في ذلك، وكان ذلك مما يشق على النبي ﷺ لما يرى منهم من التكذيب والعناد؛ ناسب أن يذكر الله -جل وعلا- لرسوله ما يسليه ويثبته فقال: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾ فلست وحدك من كُذب وأُوذي، فهذه تسلية له ووعيد لمن كذبه وعانده، وقد وافق ابن كمال على هذا المعنى الرازي البيضاوي وأبو حيان[41]، وذكره بعده أبو السعود والألوسي وابن عاشور[42].

- **النتيجة:**

تبين مما سبق من كلام المفسرين أن مناسبة قوله: ﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ٣٢﴾ أنها تسليةٌ للرسول ﷺ لما يجده من تكذيب المشركين وإيذائهم له واستهزائهم به، وفيها وعيدٌ للمكذبين وتذكيرٌ لهم لما جرى للأمم السابقة من العذاب الأليم في الدنيا والآخرة.

(10) الآية: ﴿۞مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ35﴾[الرعد:35].

- **المناسبة ونوعها:**

قال ابن كمال في مناسبة الآية لما قبلها: "﴿ لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٣٤﴾ [الرعد:34].

ولما ذكر ما أعدَّ للكفار في دار القرار ذكر ما أعد للمؤمنين فيها فقال: ﴿۞مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ35﴾[الرعد:35]"[43].

([40]) تفسير ابن كمال (403/5).
([41]) مفاتيح الغيب (19/ 44) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (3/ 188) البحر المحيط في التفسير (6/ 391).
([42]) إرشاد العقل السليم (24/5) روح المعاني (151/7) التحرير والتنوير (148/13).
([43]) تفسير ابن كمال (407/5).

- **دراسة المناسبة، وأقوال المفسرين فيها:**

سياق الآيات في ذكر الوعيد الشديد للكافرين المكذبين لآيات الله ورسله، وما أعد الله لهم من العذاب الشديد جزاء أعمالهم، ولما توعدهم وحذرهم انتقل إلى ما أعده لأضدادهم من عباده المتقين الطائعين من الوعد بدخول الجنة، وما لهم فيها من النعيم المقيم فقال: ﴿۞ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ وهذه عادة القرآن بذكر الأضداد، وقد وافق ابن كمال على هذا المعنى الرازي والبقاعي[44]، وذكره بعده ابن عاشور[45].

- **النتيجة:**

تبين مما سبق أن المناسبة في قوله: ﴿۞مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ أنها جاءت بعد ذكر الوعيد الشديد للمكذبين؛ فناسب أن يذكر ما أعد للمتقين الطائعين.

(11) الآية: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ 41﴾ [الرعد:41].

- **المناسبة ونوعها:**

قال ابن كمال في مناسبة الآية لما قبلها:" ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ [الرعد:40]؛ أي: وكيف ما دارت الأحوال: أريناك بعض ما وعدناهم من العذاب النازل بهم أو توفَّيناك قبله ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ﴾:فما عليك إلا تبليغ الوعيد بالعقوبة لا تعجيلها.

﴿وَعَلَيۡنَا﴾ لا عليك ﴿ٱلۡحِسَابُ﴾: حسابهم؛ أي: مراعاة أجلها المعلوم، والإيقاع بهم عند الوقت المحتوم.

ولـمّا نـهاه ﷺ عن الاهتمام بغير التبليغ، والتضجر لتأخر النصر، عقّبه بالتسلية، وطيَّب نفسه ونفَّس عنها بذكر طلائع ما وعد بقوله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ 41﴾ [الرعد:41] "[46].

- **دراسة المناسبة، وأقوال المفسرين فيها:**

لما وعد الله -جل وعلا- رسوله بنزول العذاب على المكذبين، وذلك إما بحياته ويرى ذلك، وإما بعد وفاته أو يوم القيامة، فالعذاب نازل بـهم لا محالة، فعليك التبليغ والصدع بالدعوة؛ ثم ناسب بعد ذلك أن يعقب ذلك بالتسلية لرسوله ﷺ بتطييب نفسه بذكر بوادر ما وعده بقوله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ 41﴾ فكما ترى من نقص أراضي الكفار وظفر المسلمين بهذه الفتوحات العظيمة، فجاءت هذه الآية تسلية للرسول ﷺ و تبشيراً له بعلامات النصر والنصرة، وقد تفرد ابن كمال بهذا المعنى.

وذكر الرازي مناسبة أخرى للآية، وهي أن الله -جل وعلا- لما وعد رسوله بأن يريه بعض ما وعده، بين في هذه الآية آثار حصول هذا الوعد وبعض علاماته[47].

وذكر البقاعي مناسبة أخرى للآية بقوله: ولما أرشد السياق إلى أن التقدير في تحقيق أنه سبحانه قادر على الجزاء لمن أراد عطف عليه قوله: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا﴾[48].

([44]) مفاتيح الغيب (19/ 46) نظم الدرر (10/ 353).
([45]) التحرير والتنوير (13/ 155).
([46]) تفسير ابن كمال (412/5).
([47]) مفاتيح الغيب (19/ 53).
([48]) نظم الدرر (10/ 364).

وذكر ابن عاشور قريباً مما سبق وزاد أن في الآية احتراس كيلا يتوهم أن العقاب بطيء، وغير واقع بهم، وفيه تبشيرٌ للنبي ﷺ بأن الله مظهر نصره في حياته[49].

- **النتيجة:**

تبين مما سبق من كلام ابن كمال أن مناسبة الآية، أن الله لما وعد نبيه بنصره وإنزال العذاب على من كذبه؛ ناسب أن يعقب ذلك بالتسلية لنبيه وتطييب نفسه بذكر طلائع نصره وما وعده به، وقد تفرد ابن كمال بهذه المناسبة.

وذكر الرازي قريباً مما ذكر ابن كمال، ولم يجعل الآية تسليةً للنبي ﷺ بل جعل المناسبة ذكر بعض ما وعد الله -جل وعلا- نبيه من العذاب على الكفار.

وذكر البقاعي أن سياق الآيات في ذكر قدرة الله؛ فناسب أن يعطف عليه ما يدل على ذكر شيءٍ من قدرته وقوته.

وكذلك ما ذكر ابن عاشور وهو قريب مما سبق وزاد أن الآية جاءت احتراساً لدفع وهم أن العذاب بعيدٌ عن الكفار، وجميع ما سبق يصلح مناسبة للآية، وما أضافه ابن كمال بجعل الآية تسلية للنبي ﷺ فيه إضافة بديعة تناسب سياق الآيات.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، فهذا بحث مختصر عن المناسبات بين الآيات في تفسير ابن كمال وهو جزء من باحث كامل، وقد تم دراسة المناسبات في سورة الرعد وتوصلت إلى نتائج منها:

- أن علم المناسبات علم شريف قل الاعتناء به عند كثير من المفسرين.
- أن علم المناسبات علم يعين على فهم الآيات وتدبر معانيها.
- أن عناية ابن كمال بهذا العلم ظاهرة لمن اطلع على تفسيره.
- يعد ابن كمال من المفسرين الذين لم يتكلفوا في علم المناسبات؛ فيذكر ما يظهر له من المناسبات بدون تكلف.
- لم ينص ابن كمال على نقله لمناسبات الآيات ممن سبقه من المفسرين.
- هذا ما تيسر ذكره وبيانه، والحمد لله على تيسيره وتسهيله.

قائمة المراجع:

1. أساس البلاغة، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
2. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت 685هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ.
3. البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت 745هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: 1420 هـ.
4. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت 1250هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت.
5. البرهان في علوم القرآن، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت 794هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، 1373 هـ - 1957م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

[49] التحرير والتنوير (170/13).

6. تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت.
7. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت 748هـ)، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، 1413 هـ - 1993 م.
8. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: 1984 هـ.
9. تفسير ابن كمال باشا، المؤلف: شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا، المحقق: ماهر أديب حبوش، الناشر: مكتبة الإرشاد، 2018م.
10. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت 982هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
11. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، المؤلف: شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن بن محمد بن أحمد الشهير بابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ)، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند.
12. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت 1270هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ.
13. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت 1089هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، 1406 هـ -1986 م.
14. الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، المؤلف: أحمد بن مصطفى بن خليل، أبو الخير، عصام الدين طاشْكُبْري زَادَهْ (ت 968 هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت.
15. طبقات الشافعية، المؤلف: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (ت851هـ)، المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى، 1407 هـ.
16. طبقات المفسرين العشرين، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، المحقق: علي محمد عمر، الناشر: مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1396.
17. طبقات المفسرين للداوودي، المؤلف: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (ت 945هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
18. في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت 885هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، لكتاب: طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت 771هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية،1413هـ.
19. القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، 1436هـ - 2005 م.
20. كتاب التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت 816هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ - 1983م.
21. لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
22. مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت 666هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م.
23. المعجم الوسيط، المؤلف: نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة: الثانية.
24. معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 359هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م.
25. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ.

26. مفردات ألفاظ القرآن (ت: داوودي)، المؤلف: الراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان داوودي، الناشر: دار القلم - الدار الشامية، سنة النشر: 1430 - 2009.
27. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت 885هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.